

خطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط من منظور السرديات الإدراكية:

كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي أنموذجاً

The Discourse of Mathalib (Satire) in Medieval Classical Arabic Literature from the Perspective of Cognitive Narratives: The book of Akhlaq Al- Wazirayn by Abu Hainan Al-Tawhidi as an exemplar

المؤلف الأول	المعطيات
د. ضياء عبدالله الكعبي	الاسم واللقب
أستاذ مشارك السرديات والنقد الأدبي الحديث	الدرجة العلمية
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية كلية الآداب، جامعة البحرين.	جامعة الانتماء
مملكة البحرين	البلد
dalkaabi@uob.edu.bh	البريد الإلكتروني
د. ضياء الكعبي، dalkaabi@uob.edu.bh	الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل
الملخص باللغة العربية	
الملخص يمثل خطاب المثالب في الموروث السردى العربى ظاهرة معرفية وثقافية تتجاوز حدود الهجاء الشخصى لتشتبك مع السلطة والسياسة والأخلاق. يستقصي هذا البحث ذلك الخطاب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط من منظور السرديات الإدراكية، متخذاً من كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي أنموذجاً للدراسة. وتهدف هذه المقاربة السردية الإدراكية إلى رصد آليات تشكيل "خطاب المثالب" بوصفها تمثيلات إدراكية عن السلطة في العصر البويهي متمثلة في الوزيرين: الصاحب بن عباد وأبي الفضل بن العميد، وتفكيك البنى والعوالم الإدراكية الكامنة خلف السرد الهجائي لتحويل الذم من مجرد انفعال شخصي إلى بنية معرفية متكاملة، متجاوزاً القراءات التاريخية الإسقاطية التقليدية. ولتحقيق هذه الأهداف، قُسم البحث إلى ثلاثة مطالب رئيسة؛ أولها الإطار المفاهيمي لخطاب المثالب والسرديات الإدراكية، وثانها البنى الإدراكية لهذا الخطاب في الكتاب، وثالثها آليات التوجيه الإدراكي والتخييل السردى. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ أبرزها اشتغال خطاب المثالب عند التوحيدي على آليات إدراكية متطورة	

مثل: نمذجة الخصم الذهنية، والدمج المفاهيمي، وإستراتيجيات التمحوّر على الذات مقابل الآخر، إضافة إلى التّأطير المعرفي وبناء الاستعارات الإدراكية. وتخلص الدراسة في نهايتها إلى أن كتاب (أخلاق الوزيرين) لم يكن مجرد سرد تاريخي أو هجاء شخصي، بل هو بنية إدراكية متكاملة توظف آليات السرد لتوجيه وعي المتلقي وتشكيل مواقفه تجاه السلطة السياسية والثقافية السائدة في عصره.	
خطاب المثالب، السّرديات الإدراكية، الأدب العربيّ الكلاسيكيّ الوسيط، العصر البويهيّ.	الكلمات المفتاحية:
الملخص باللغة الأجنبية	
ABSTRACT:	The discourse of invective (Kitab al-Mathalib) in the Arabic narrative heritage represents a cognitive and cultural phenomenon that transcends the boundaries of personal satire to engage with power, politics, and morality. This research investigates this discourse in medieval classical Arabic literature through the lens of cognitive narratology, taking Abu Hayyan al-Tawhidi's book, <i>Akhlaq al-Wazirayn</i> (The Manners of the Two Viziers), as a case study. This cognitive narrative approach aims to examine the mechanisms of shaping the "discourse of invective" as cognitive representations of power in the Buyid era, represented by the two viziers: Abu al-Fadl ibn al-Amid and Al-Sahib ibn Abbad. Furthermore, it seeks to deconstruct the underlying cognitive structures and worlds behind the satirical narrative to transform defamation from a mere personal emotion into an integrated cognitive structure, thereby transcending traditional, projectively biased historical readings. To achieve these objectives, the study is divided into three main sections: the first outlines the conceptual framework of the discourse of invective and cognitive narratology; the second analyzes the cognitive structures of this discourse in <i>Akhlaq al-Wazirayn</i>; and the third explores the mechanisms of cognitive orientation and narrative imagination. The study yields several key findings, most notably that al-Tawhidi's discourse of invective incorporates sophisticated cognitive mechanisms such as the mental modeling of the adversary, conceptual blending, strategies of self-centering versus the other, cognitive framing, and the construction of cognitive metaphors. Ultimately, the study concludes that <i>Akhlaq al-Wazirayn</i> was not merely a historical chronicle or a personal lampoon, but rather an integrated cognitive structure that employs narrative mechanisms to guide the recipient's consciousness and shape their attitudes toward the dominant political and cultural authority of his era.
Key Words:	Discourse of Mathalib (Satire), cognitive narratives, medieval classical Arabic literature, Buwayhid era.)

1.1 إشكالية البحث وأسئلته التأسيسية:

يمثل خطاب المثالب في الموروث السردّي العربيّ ظاهرة معرفيّة وثقافيّة ومنظومة إدراكيّة تتجاوز حدود الهجاء الشخصيّ إلى الاشتباك مع السلطة والسياسة والأخلاق. يستقصي هذا البحث خطاب المثالب في الأدب العربيّ الكلاسيكيّ الوسيط من منظور السّرديات الإدراكيّة في كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيّان التوحيد (ت: 414 هـ). ويُعد هذا الكتاب أنموذجاً فريداً استثنائياً لتطبيق السّرديات الإدراكيّة على خطاب المثالب؛ إذ تتشكّل البنى الذهنية والنماذج المعرفيّة عبر آليات التخيل، وتشكيل العوالم الممكنة، والاستعارات التصورية لتشكيل صورة الوزيرين (المثلوبين). إنّ الإشكالية المركزية لهذه المقاربة هي الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يشغل "خطاب المثالب" في كتاب (أخلاق الوزيرين) آلياً ودلالياً من منظور السّرديات الإدراكيّة؟ وكيف أسهمت آليات السّرديات الإدراكيّة في توجيه وعي المتلقي وتشكيل صورة ذهنية سلبية عن الوزيرين لتشكيل نماذج إدراكيّة وتأثيرية في عقل المتلقي العربيّ الوسيط؟

تهدف هذه المقاربة السّردية الإدراكيّة إلى دراسة آليات تشكيل "خطاب المثالب" بوصفها تمثيلات إدراكيّة عن السلطة في العصر البويهيّ ممثلة في الوزيرين (أبي الفضل بن العميد) (ت: 360 هـ) والصاحب ابن عبّاد (ت: 385 هـ)، والكشف عن البنى والعوالم الإدراكيّة الكامنة خلف السرد الهجائيّ في الأدب العربيّ الوسيط لتفكيك آليات الخطاب، ورصد تقنيّاته السردية التي تحوّل "الذم" و"المثالب" من مجرد انفعال شخصي إلى بنية معرفية متكاملة بالاستناد إلى مفاهيم (السّرديات الإدراكيّة)، كما تُعنى هذه الدراسة كذلك بآليات التوجيه الإدراكيّ لمتلقي هذا الكتاب، واستثمار السّرديات الإدراكيّة (Cognitive Narratives) في قراءة النصوص التراثية السّردية وتجاوز القراءات التاريخيّة الإسقاطيّة.

تألّفت هذه المقاربة البحثيّة من ثلاثة مطالب بحثية أولها: الإطار المفاهيميّ (خطاب المثالب والسّرديات الإدراكيّة)، والمبحث الثاني: البنى الإدراكيّة لخطاب المثالب في كتاب (أخلاق الوزيرين)، والمبحث الثالث: آليات التوجيه الإدراكيّ والتخيل السرديّ.

مدوّنة البحث:

اختارت هذه المقاربة النقدية كتاب (أخلاق الوزيرين) المعروف أيضاً بمثالب الوزيرين¹ لأبي حيّان التوحيد نظراً إلى كونه وثيقة سردية نادرة تؤرّخ كتابة المثالب في العصر العبّاسيّ إبان تفكك الإمبراطورية العربيّة الإسلاميّة، وفي حقبة سياسية إشكاليّة هي العصر البويهيّ. وتصدر أهمية هذا الكتاب في كون الوزيرين (المثلوبين) هما وزيران كاتبان، ويعدان من أشهر الأدباء الكتاب في العصر العبّاسيّ المتأخّر، وبالتالي يرصد هذا الكتاب الأخلاقيات السياسيّة الخاصة ببعض الوزراء الكُتاب في تلك الحقبة، كما يمثل مادة ممتازة جداً لاستقصاء (التناس الثقافيّ الإدراكيّ).

منهجية البحث:

تمزج هذه المقاربة النقدية بين المنهج التحليليّ النصي والمنظور السرديّ الإدراكيّ (Cognitive Narratology) القائم على دراسة البنيات الذهنية والتجسيد والتمثيل المعرفيّ، مع توظيف القراءة الثقافيّة لتحليل إستراتيجيات التمثيل السردية، وكشف أبعاد الخطاب الإدراكيّة، وتحديد وظائفه التداوليّة، والانتقال من القراءة البنيوية التقليدية إلى قراءة سردية إدراكية (معرفية). كما تستفيد هذه المقاربة

النقدية كذلك من النظريات النقدية الخاصة بالتلقي والتأويل من وجهة نظر السرديات الإدراكية في بناء العوالم الممكنة، وإسقاط الفجوات، والنموذج الإدراكي للشخصيات، والإستراتيجية التفاعلية، والتمثيل الذهني، والمرجعية الثقافية.

المقاربات السابقة للموضوع، وما الجديد الذي تريد هذه المقاربة النقدية الوصول إليه؟

حظي كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيّان التوحيدى ببعض المقاربات النقدية، لعلّ أبرزها المقاربات الآتية:
1. هالة أحمد فؤاد. المثقف بين السلطة والعامّة، نموذج القرن الرابع الهجري_ أبو حيّان التوحيدى. ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2012.

يتناول هذا الكتاب العلاقة الإشكالية بين السلطة السياسية والمثقف في القرن الرابع الهجري من خلال أنموذج معرفيّ هو كتابات أبي حيّان التوحيدى. وقد تناولت الباحثة كتاب (أخلاق الوزيرين) للبحث عن الأنموذج العقلي المعياري لهذا النوع من الكتابات السردية السياسية. كما تناولت مجالس الندماء، والسلطة والعامّة والخاصة وعلاقات الالتباس الشائكة في عصر أبي حيّان التوحيدى. وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة وطرافتها البحثية في مجالها إلا أنها لم ترتحن إلى تأسيسات نقدية في المنهج والمعالجة والتفكيك، واكتفت بالقراءة الأيديولوجية الإسقاطية التي أفقدت نصوص أبي حيّان التوحيدى حيويّتها المعرفية وآفاق تأويلاتها الثقافية المعقدة والإشكالية.

2. منال بنت صالح المحميد. المحاورّة في أدب أبي حيّان التوحيدى، دراسة في خصائص التفاعل التواصلي (الأدب المجلسي في مدوّنات التوحيدى). ط1. دار كنوز المعرفة، عمّان، 1440هـ/2019 م.

تشتغل هذه المقاربة السردية التداولية التواصلية على استخلاص أدب المحاورات ممثلاً في أدب المجالس في أدب أبي حيّان التوحيدى لاستخلاص السمات العامة المميّزة لهذا الأدب في كونه كتابة تفاعلية بين مرسل ومرسل إليه يتبادلان المواقع. كما سعت هذه الدراسة كذلك إلى بيان أثر التفاعل التواصلي في بناء الأطر الفكرية التي تحرك المحاورات والأعمال اللغوية ذات القيمة التداولية في أدب التوحيدى، وبيان كيفية بناء المحاورات، وإستراتيجية التحويل في بناء النص وتشكّل خصائصه، بالتركيز على فعل الكتابة نفسه وصلته بنظام الثقافة الجماعية وقتذاك. وقد تناولت الباحثة كتاب (أخلاق الوزيرين) في سياق حديثها عن خصائص المحاورّة في أدب التوحيدى من منظور تواصلي.

3. أوس عصام هشام الوادي. "أخلاق الوزيرين لأبي حيّان التوحيدى قراءة ثقافيّة لواقع إنتاج هذا النص"، حوليات آداب عين شمس، القاهرة، المجلد 47، العدد 3، 2019.

تُعنى هذه الدراسة باستكشاف الدوافع الكامنة وراء تأليف كتاب (أخلاق الوزيرين)، ويرى الباحث أنّ هذا الكتاب كان صادراً من كراهية أبي حيّان التوحيدى للصاحب ابن عبّاد وابن العميد، الوزيرين، بسبب موقفهما منه. ولم يكن الهدف من تأليف الكتاب توثيق أحداث تاريخية محدّدة بل رسم ملامح شخصيتي الوزيرين بكتابة رمزية ساخرة قد تلجأ أحياناً إلى الحياد.

أهمية البحث والقيمة المعرفية التي يسعى إلى تحقيقها:

ما الجديد في هذه المقاربة النقدية؟

الجديد في مقاربتى البحثية:

تكمن الإضافة البحثية لمقاربة "خطاب المثالب" في كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيّان التوحيد من منظور "السّرديات الإدراكية" في تحويل النص من مجرد هجاء تاريخي أو تنفيس ذاتي ضد الوزيرين البوهيين صاحب ابن عبّاد وابن العميد إلى منظومة بنيوية إدراكية تفاعلية، تفسّر كيف يبني المتلقي عوالم تخيلية ومواقف شعورية تجاه السلطة والأخلاق عبر إستراتيجيات التفكير والذهن البشري. ويمثل تطبيق السّرديات الإدراكية في كتاب (أخلاق الوزيرين) إضافة بحثية نوعية تتجاوز القراءة التاريخية التقليدية لخطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي؛ إلى إعادة تشكيل الذهنية الثقافية العربية، وتفعيل العوالم الممكنة، والنمذجة الذهنية للشخصيات، وتفكيك الخطاب الحجائي، وبناء شبكة إدراكية لصناعة الذاكرة السردية لإشراك المتلقي في منظومة أفق انتظار محدّد. كما تكمن الإضافة البحثية لهذه المقاربة في توظيفها السّرديات الإدراكية على خطاب سرديّ في غاية الأهمية هو خطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط ممثلاً في كتاب (أخلاق الوزيرين).²

2. المبحث الأول: الإطار المعرفي والمفاهيمي:

نتقصى في هذا المبحث المفاهيم والمصطلحات التأسيسية لموضوع المقاربة النقدية، وهي:

(السّرديات الإدراكية) (Cognitive Narratives):

كانت النماذج البنيوية المبكرة فضلاً عن محدودية فهمها الفقير للوظائف التواصلية للقصص في سياقات استخدامها محدودة بعجزها أيضاً عن تحديد الوضع الدقيق للرمز - أيّ البنية - التي تنظم إنتاج وفهم سرديات معينة. وهنا، لم يستكشف علماء السرد بشكل كافٍ دلالات مفهوم سوسير عن اللغة، أو المنظومة اللغوية، التي وصفوها بأنها نظير للنظام الذي يحكم استخدام نصوص أو خطابات سردية معينة وتفسيرها. فبالنسبة لسوسير، كانت المنظومة اللغوية بناءً ذهنياً وحقيقة اجتماعية في آن معاً، إذ اعتبر أنّ الكفاءة اللغوية هي وظيفة للقدرات المعرفية يكتسبها المتحدثون عند استبطانهم أو "استيعابهم" للمنظومة اللغوية المرتبطة بأيّ لغة؛ أيّ المبادئ التي تحكم أنماطها الصوتية والصرفية والنحوية، بالإضافة إلى الخصائص الدلالية والتداولية المرتبطة بالتعبيرات المشكلة وفقاً لتلك المبادئ. وعلى الرغم من أنّ علماء السرد البنيويين لم يستغلوا هذه الجوانب من الإطار السوسيري الذي أسسوا عليه مشروعاتهم، فقد ركز محللو القصص العاملون في مجالات أخرى على الأبعاد المعرفية لـ "شفرة" السرد، وكذلك على الأسس الاجتماعية لتلك الشفرة.³

ولقد وضع كل من علماء النفس المعرفي وباحثي الذكاء الاصطناعي في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، فرضيات حول الأدوات الذهنية المرتبطة بإتقان نظام السرد. فمن جهة، افترض باحثون مثل ديفيد إي. روميلهارت (1975) وجين ماطر ماندلر (1984) وجود ما وصفوه بقواعد السرد القائمة على المعرفة أو أنظمة قواعد السرد. وصيغت القواعد النحوية بوصفها تمثيلات رسمية للآليات المعرفية المستخدمة لتحليل القصص إلى مجموعات من الوحدات (مثل الأماكن والأحداث) ومبادئ لتسلسل هذه الوحدات وتضمينها. وكما قال ماندلر: 'يكن جوهر جميع قواعد القصة في أنّ للقصص بنية أساسية، أو جوهرية، تظل ثابتة نسبياً على الرغم من الاختلافات الكبيرة في المحتوى من قصة إلى أخرى. وتتكون هذه البنية من عدد من المكونات المرتبة'.⁴

" لقد حوّل السردَ باعتباره طريقة في التفكير_ مركز الاهتمام من العقل الذي يفك شفرة الحكاية إلى العقل الذي يُدرّكها، ويمكن أن يكون هذا العقل عقل الكاتب عندما يكون هناك نص وفعل تواصل. ولكن يمكن أن تكون الحكاية تمثيلاً ذهنياً لم يكشف عن دواخله بالنسبة إلى العديد من الباحثين (...) أمّا بالنسبة إلى ديفيد هيرمان David Herman، فيرى أنّ التجربة الإنسانية ليست مجرد موضوع للسرد، بل يمكن أن تكون ممكنة من خلال فعل السرد ذاته: "لا يمكن أن تكون عندنا فكرة تجربة حياتية بلا سرد": فالقصة توفر أساساً أو سياقاً للحصول على الخبرة في المقام الأول"⁵.

2.2 (خطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط):

تدور مادة (ثلب) في المعاجم العربية القديمة حول معاني العيب وشدة اللوم والأخذ باللسان. يقول ابن منظور في مادة (ثلب): "ثلب: ثلبه يثلبه ثلباً: لأمه وعابه وصرّح بالعيب، وقال فيه: وتنقصه. قال الراجز: لا يُحسنُ التعريضَ إلا ثلّاباً

غيره: الثلب: شدة اللوم، والأخذ باللسان، وهو المثلث يجري في العقوبات والثلب. ومثل: لا يحسنُ التعريضَ إلا ثلّاباً، والمثالب منه. والمثالب: العيوب، وهي المثلبة والمثلبة. ومثالب الأمير والقاضي: معاييه. ورجلٌ ثلب وثلب: معيب. وثلب الرجل ثلباً: طرده. وثلب الشيء: قلبه..⁶

إنّ خطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط هو فن إبراز العيوب، والقبائح⁷، والنقائص الأخلاقية أو الاجتماعية، وعقائد السوء والأنساب الوضيعة للأفراد والقبائل، وقد ظهر هذا الخطاب بوضوح في الجاهلية متمثلاً في الهجاء المتبادل بين الشعراء للنيل من شرف الخصوم وأحسابهم، وازدهر في العصر الإسلامي والأموي (كالنقائص) التي مثلها الشعراء الأمويون: جرير والفرزدق والأخطل، التي تحولت إلى نسق حضاري معرفي يعكس التحوّل من ثقافة القبيلة إلى ثقافة المدينة⁸، وبلغت قمة تدوين أدب المثالب في العصر العباسي رداً على النزعات الشعوبية، ومثلته كتب متخصصة مثل "مثالب العرب" لهشام بن الكلبي وغيره في مقابل خطاب الإشادة والمناقب الذي تجلّى شعراً ونثراً للإشادة بالعرب وفضائلهم.

المبحث الثاني: البنى الإدراكية لخطاب المثالب في كتاب (أخلاق الوزيرين):

شكل القرن الرابع الهجري عصر "اللامركزية لعصر إمرة الأمراء" والدول المستقلة المتفككة عن الدولة العباسية. لقد أفرز هذا التشظي والتفكك ظاهرة "مثقفي المقابسات" التي كانت تزخر بهم المجالس الثقافية للنخبين السياسية والفكرية، وبعبارة أبي حيّان التوحيدي كان هؤلاء "يتقاسمون" في موضوعات منزعة من المنطق والفلسفة والعلوم والكلام والفقه واللغة والأدب والنحو والبلاغة، في جو من اللانسق واللانظام: ينتزعون فكرة أو جملة من هذا الفيلسوف أو ذاك، أو هذا الأديب أو ذاك، يفصلونها عن سياقها وعن الحقل الذي تنتمي إليه، يجعلونها موضوعاً لمناقشات لفظية وجدل سفسطائي في الغالب"⁹. وكان أبوحيّان التوحيدي هو أحد أشهر مثقفي المقابسات في القرن الرابع الهجري.

2.1 البنى الإدراكية وسرديات الهيمنة في (أخلاق الوزيرين):

اهتم الإدراكيون بدينامية القوة بوصفها نسقاً عرفانياً في بناء تصوراتهم النظرية، ونجد ذلك عند لانقيكر، وجاكندوف، وطالبي، وسويستر، وجونسون وغيرهم. ولكن أهم من أسس للمفهوم، وضبط أصوله، حدّد معاملته هو ليونارد طالبي الذي بدأ بالاشتغال على هذا المفهوم منذ بداية الثمانينات، وأنشأ فيه نسقاً نظرياً متكاملأً اتضح في كتابه "نحو علم دلالة عرفاني" (Toward a Cognitive Semantics). وقد ابتكر مارك

جونسن النموذج الطرزيّ لخطاطة القوة الذي أطلق عليه اسم "بنية الإلزام" (Compulsion). وتقوم هذه البنية على شيئين، الشيء الأول يمارس قوة على الشيء الثاني؛ فيدفعه إلى الحركة مجبراً إياه على تغيير موقعه. أمّا "بنية العائق" (Blockage)؛ ففيها تتعرض القوة إلى حاجز يعيق تقدمها؛ وتقوم "بنية القوة المضادة" (Counter Force) على وجود كيّانين يمارس كل منهما القوة على الآخر في شكل تدافع متماثل. أمّا "بنية التحويل" Diversion فتنتج عن وجود قوتين متعارضتين تضطرّ كل قوة؛ نتيجة تصادم القوى، إلى تحويل وجهتها. أمّا "بنية إزالة القيود" (Removal of restraint) فتقوم على فرضية إزالة الحاجز، وهي بنية تحكم تجربتنا ونمارسها في حياتنا اليومية. وتقوم "بنية الجواز" (Enablement) على افتراض قوة لا يعترضها أي حاجز؛ فتسير في طريق مفتوح لا يعترضه عائق. و"بنية الجذب" Attraction تمثل بنية مشتركة بين جملة من التجارب التي نعيشها في حياتنا اليومية¹⁰.

يمثل كتاب (أخلاق الوزيرين) نوعاً من أنواع الكتابة المخاتلة المراوغة التي أراد بها أبوحيان التوحيديّ أن ينشئ كتابة صادمة جداً تسرد قبحيات وعيوب اثنين من أشهر وزراء الدولة العباسية في عصورها المتأخرة، وتستهدف هذه الكتابة الثالبة الذاكرة الجمعية للمتلقّي العربيّ الوسيط، وفي الوقت نفسه لم يجرؤ أبو حيان على تسمية كتابه بـ "مثالب" أو "ثلب" أو "ذمّ الوزيرين"، وإنما اختار له اسماً آخر هو (أخلاق الوزيرين). إنّ السبب الذي دعا التوحيدي أن يسلك مسلك الحذر والاحتياط هو أن التوحيدي كما يذكر محمد بن تاووت الطنجي محقّق الكتاب "لم يكن من الجرأة ومناعة الجانب وإن أعجبه، حين يكون بنجوة من الخطر، أن يتظاهر بمظهر الشجاع الذي لا يقيم لخصمه أيّ وزنٍ بحيث يتحدّى الوزيرين وأشياءهما"¹¹. لقد اختار أبوحيان للتعبير عن مضمون كتابته الثالبة كلمة "أخلاق"، وهي التي تتسع للخطة التي رسم حدودها في مقدمة كتابه هذا؛ فلم يقتصر في أحاديثه عن الوزيرين على ما كان طالباً لمقتهما، وداعياً إلى الزاوية عليهما، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد فيهما"¹². و"ماشاع من فضائل لم يثلثهما فيها أحدٌ في زمانهما ولا كثيرٌ ممن تقدّمهما"¹³. "لقد أخفى التوحيدي كتابه عن الأعين، واحتفظ به في مسودته عنده، واعتذر للوزير ابن سعدان حين طلبه منه - بأنه لا جسارة له على تحريره، وبأن جانب الصاحب مهيب، ومكره له ديب، وتمثّل له بقول الأول:

إلى أن يغيب المرءُ يُرجى ويتقى ولا يعلم الإنسان ما في المغيّب"¹⁴.

إنّ هذا الإخفاء والاستتار يؤشران على حجم (العنف الرمزي)¹⁵ الذي يمثله وزير الدولة البويهية (الصاحب ابن عبّاد وابن العميد) في ذاكرة أبي حيان التوحيدي ومتخيله السياسي. إذ كان لا يزال لخطابهما سطوة طاغية مهيمنة لديه، وخاصة حضور الوزير ابن عبّاد حتى بعد وفاته¹⁶. ولعلّ هذا الحذر والاحتياط و"التقية السياسية" التي مارسها التوحيدي، وهو يمارس في عدد من كتاباته كتابة التملق والاستجداء والكُدية السياسية، هي التي دفعته إلى أن يسوّغ لكتابه الثالبة بأنها تلبية لطلب الوزير ابن سعدان إذ يقول التوحيدي في خطبة كتابه: "وهذه الجملة أكرمك الله أنت أحوجتني إليها، وجشمتني صغها حتى نَشِبْتُ بها قائماً وقاعداً، وتقلّبتُ في حافاتها مختاراً ومضطراً، وتصرّفتُ في فنونها مُحسناً ومُسِيناً، لما تابعتُ إليّ من كتابٍ بعد كتاب، تُطالبني في جميعه بنسخ أشياء من حديث ابن عبّاد وابن العميد وغيرهما ممّن أدركتُ في عصري من هؤلاء، منذُ سنة خمسين وثلاثمائة إلى هذه الغاية، وزعمتُ أني قد خَبَرْتُ هذين الرجلين من غمار الباقيين، ووقفتُ على شأنهما، واستبنتُ دخائلهما، وعرفتُ خوافي أحوالهما،

وغرائب مذهبهما وأخلاقهما. ولعمري قد كان أكثرُ ذلك، إما بالمشاهدة والصُّحبة، وإما بالسَّماع والرواية من البطانة والحاشية والنَّدماء وذوي المُلَابسة¹⁷. إنَّ الوزير ابن سعدان هو الذي ينشئ محدّدات كتابة أبي حيّان الثّالية عندما يرسم له خطة كتابه من أوله إلى خاتمته وفق شروطه ورغباته ومحاذيره. يقول أبوحيّان مخاطباً الوزير ابن سعدان: "وقلت: ينبغي أن تضيف إلى ذلك ما يتعلق به، ويدخل في طرازه..."¹⁸، "وقلت: لا يخلو موقع ذلك كلّ ولا يعذب ورده، ولا يغزر عدّه ولا ينقاد السمعُ له، ولا يراخ القلبُ به إلا بعد أن تدع المحاشاة وأنت مُقتدر، وتفارق المخاشاة وأنت مُنتصر"¹⁹. "إنَّ الدعوة إلى الكتابة، مثل الدعوة إلى الكلام في الثقافة العربيّة القديمة، ولعلّه لهذا الاعتبار كان عدد من المؤلّفات والمصنّفات عبارة عن "رسائل" توجه إلى شخص معيّن (واقعي أو تخيلي) طلب من الكاتب التّأليف في غرض معيّن، والانتقال إلى الخطاب، انتقال من المظهر الشفاهي للكلام إلى مظهره الكتابي. ومثلما دعا ابن سعدان التوحيديّ إلى مجالسه بهدف الاستماع إليه في قضايا خاصة، دعا أبو الوفاء المهندس التوحيديّ إلى تقييد وتدوين ما جرى بينهما في هذه المجالس"²⁰.

إنَّ كتاب (أخلاق الوزيرين) ينتمي إلى أدب المجالسيات والمقابسات في الثقافة العربيّة الوسيطة، ويؤسّر بعمق على طبيعة الظرفية السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة بالغة التعقيد في القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذهبي الذي شهد توهّج السرد العربيّ الكلاسيكيّ ونضوجه وعمق استيعابه لما سبقه وعمق تأثيره في العصور الأدبيّة اللاحقة له تأثيراً لا يزال نشهده ونتأثّر به. لقد استوعب التوحيديّ الثقافة العربيّة في أصولها وتحولاتها، ما طرأ عليها في صيرورتها من تأثرات جديدة، وتفاعل مع عصره الإشكاليّ وفق رؤية خاصة، وموقف محدّد، وعبر عن ذلك الاستيعاب، وهذا التفاعل، من خلال التصنيف والتّأليف. إنَّ كتاب (أخلاق الوزيرين) هو الأنموذج الكتابي المجلسي (النقيض) لكتاب (الإمتاع والمؤانسة)، وهو الكتاب الذي يمارس فيه التوحيد دور (النديم المثقف المتفاعل مع قضايا عصره) مع أنموذج الوزير المثقف النموذجي (أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان المعروف بالعارض) وزير الخليفة البويهي صمصام الدولة، ويمكن أن ندرج كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ضمن الأدبيات السلطانيّة الثقافيّة في الحين الذي يمارس فيه أبوحيّان التوحيد كتابته ثالبة مراوغة في (أخلاق الوزيرين)، ويعرب عن خيبة أمله في أنموذجي الوزيرين الكاتبين المثقفين (الصاحب وابن العميد)، وهما أنموذج يخرق مواصفات الوزير المثالي الذي يجب أن يكون في فضائله من العقل والحكمة والعدل والإنصاف والعطاء، وهو أنموذج يدل على التوحيد بأسرة البرامكة، وزراء الدولة العبّاسية في أوج توهجها.

يوظّف التوحيد حجاجية السلطة أو حجة السلطة²¹ في حديث الوزير الصاحب ابن عبّاد إلى نخبة ثقافية من القضاة العلماء والأدباء حضروا إلى ديوانه بعد عودته من همدان، وكان قد "أعدّ لكل واحدٍ منهم كلاماً يلقيه به عند رؤيته وأين كانوا يقعون منه، وأين كانوا يبينون عنده؛ وهذا الذي ذهب به في الإعجاب والكبر، وبعثه على احتقار الناس، وتركه في التيه المضل"²². ويعضّد ابن عبّاد شرعية كلامه من عيون الشعر العربيّ في شعر المديح والفخر؛ إذ يقول ابن عبّاد للقاضي أبي الحسن الهمدانيّ "أيّها القاضي! ما فارقتك شوقاً إليك، ولا فارقتك وجداً عليك، ولقد مرّت بعدك مجالسُ كانت تقتضيك وتخطبك وترتضيك؛ ولو شهدتني بين أهلها وقد علوهم ببياني ولساني وجدي، لأنشدت قول حسّان بن ثابت في ابن عبّاس ورأيتني أولى به منه، فإنّ حسّان قال:

إذا ما ابنُ عباسٍ بدا لك وجهه
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
رأيت له في كلِّ مجمعة فضلاً
بملتقطاتٍ لا ترى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع
لذي إزبة في القول جداً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة
فيلت ذراها لا دنياً ولا وغلاً²³.

وفي المقابل يستعين التوحيدي بسرديات مضادة ناقضة لحجاجيات السلطة عند صاحب ابن عبّاد، وتتوسل هذه السرديات المضادة بحجاجية السلطة في استناد خطابها إلى مرجعيات سياسية وفكرية وثقافية عليا لإكسابها الموثوقية والشرعية. وقد أورد أبوحيان رسالة أبي راغب الفتي من آل أبي جعفر العبّاسي الوزير بخراسان، وهي رسالة يوجهها أبو راغب إلى الوزير الكاتب ابن عبّاد، ويصدرها أبو حيان بقوله: "وأنا أرويهما لتعلم أني لم أتفرد بتهجينه والنكير عليه، بل كلُّ حرّ كريم، وكلّ دين مذكور، وكلّ ذي مروّة ظاهرة معي فيما نثوت عنه وكرهته منه؛ فإن لم تعبأ بما تسمع مني فاعبأ بمن لعلّه عندك أشف مني، ولا تتسرع إلى عيبي هذا الرجل بما قد دونته حتى تتبين الأمر على حقّه وصديقه"²⁴. يقول أبو راغب مخاطباً ابن عبّاد: "والله ما حرّكتني لنبد هذا الكلام إليك حبيبةً عليك؛ لأنني لم أنتجعك، ولم أطمع في مالك، ولا عرفت وجهي، ولا سمعت باسمي لكن أبت نفسي أن تقرّ على الجهل بحالك، وبدخلة ما يكون عليه أمثالك، فأثرت نصيحتك؛ فإنّ النبي صلى الله عليه قال: "الدين النصيحة"²⁵.

2.2 البنى الإدراكية وتشكيل الشخصية في (أخلاق الوزيرين):

لقد سعى أبوحيان التوحيدي إلى تقديم تصوّر إدراكيّ عقلانيّ يتسم بالمثالية والمعيارية المطلقة لرسم صورة الأنموذج المثالي للوزير؛ وبالتالي فإنّ أيّ خرق أو خروج على هذه المعايير أو عدم الامتثال إليها يُصنّف في الأنموذج السلبي للوزير. ينتهي الوزير البويهّي ابن سعدان إلى الصدارة من الفئة الممتازة من الوزراء الكتاب المثقفين، ويحتكم التوحيديّ إلى العقل وهو يصدّر كتابه قائلاً: "وذا بابٌ يرجع إلى معرفة الأحوال إذا وُردت مُشْتَبِهَةٌ مُسْتَهْجَمَةٌ، وعواقب الأمور إذا صَدَرَتْ مُسْتَنْبِرَةٌ متوضّحة، وثمرة هذه المعرفة السّلامة في الدنيا، والكرامة في الآخرة (...) وكل من كان نصيبه من الكيس والحزامة أكثر كان قسطه من النّفع والعائد أوفر، وكل من كان حظّه من العقل والتأييد أنزَر كانت تجارته فيها أخسر، وعاقبته منها أعسر. وهذا الباب جِماعُ المنافع والمضارّ، وبه يقع التّفاوتُ بين الأخيار والأشرار، وبين السّفلة وذوي الأقدار؛ وهو بابٌ يَنْتَظِمُ الصّدق والكذب في القول، ومتى تَمَّت هذه المعرفة، واستحكمت هذه البصيرة كان الإقدام على ثقة بالظّفر"²⁶. "إنّ نص المثالب يبلور حالة كتابية شديدة الخصوصية، إذ يقدم لنا مشهد شديد الكثافة والتعقيد لذات كاتبة تثلب الآخرين، لكنها في الوقت نفسه تثلب ذاتها، وتفضح نواياها ودوافعها الخفية. ويمكننا القول أنها ترصد وعيها، وهي تكتب، وكأنها تتكشف لذاتها عبر فعل الكتابة نفسه بوصفه فعلاً مرآوياً كاشفاً جالباً لتناقضات الذات ومآزقها الكتابي في آن"²⁷.

إنّ كتابة الثلب عند أبي حيان التوحيدي هي كتابة على درجة عالية من الصعوبة والمعاناة الشخصية بين الامتثال إلى معايير النزاهة والموضوعية والصدق وعدم التحريف وبين الانتصار للذات الكاتبة. يقول التوحيدي: "فأما من حدّث عن لئيم فإنّ أساس كلامه الغيظ، وهو نار القلب وخبث اللسان وتشنيع القلم فكيف الإنصاف في وصف هذين الرجلين، مع سرف الهوى، ووقدان الغيظ، وعادة الجور، وداعية الفساد،

وصَارِفَةِ الصَّلاح؟ (...) وفي الجملة أَبْقَاكَ اللهُ - ليس المضطّرُّ كالمختار، ولا المحرج كالسَّليم، ولا الموفورُ كالموتور، ولا كل حكم يلزم المتوسط في حاله يلزم المتناهي في حاله؛ ومتى كان عافاك اللهُ - التابعُ كالمُتَّبوع، والآملُ كالمأمول، والمستميج كالمُنعم، والمغبوطُ كالمرحوم كالمحروم!!²⁸. يسأل الوزير ابن سعدان في الليلة الرابعة من كتاب (الإمتاع المؤانسة) أبا حيان التوحيدي عن الوزير صاحب ابن عبّاد فيرد عليه التوحيدي قائلاً "إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي وشديد الغيظ لحرمانني، وإن وصفته أربيت منتصفاً، وانتصفت منه مسرفاً، فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب أو عارياً منهما جملة كان الوصف أصدق (...) على أني عملتُ رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد، وأودعتها نفسي القير، ولفظي الطويل والقصير، وهي في المسودة، ولا جَسارة لي على تحريرها، فإنَّ جانبه مهيب، ولمكره ديب، وقد قال الشاعر:

إلى أن يغيبَ المرءُ يرجى ويتقى ولا يعلمُ الإنسانُ ما في الغيبِ"²⁹

يصف أبو حيان التوحيدي الوزير صاحب ابن عبّاد بأنه كثير المحفوظ، حاضر الجواب، فصيح اللسان، الغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة، شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين في أجزائها كالمهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق، حسن القيام بالعروض والقوافي. وعلى الرغم من امتلاك ابن عبّاد فصاحتي اللسان والقلم، وجمعه بين السلطة والثقافة في كونه وزيراً كاتباً إلا أنَّ التوحيدي يقوِّض هذه السلطة، ويصفه على لسان الشاعر الزعفرانيّ بأنه "كليل الكرم، حاد اللؤم، رقيق الظاهر، مربب الباطن، دنس الجيب، مثرياً من العيب..."³⁰. ويبرز التوحيدي تضخم الذات السلطوية عند ابن عبّاد وادعائه حيّزة التفوق المعرفي والبياني والفقهّي بما في ذلك اختلاقه مناظرات لم تحدث مع كبار علماء النحو والبيان العربيّ. ويتشارك الوزير البويهيّ ابن العميد مع صاحب بن عبّاد من منظور أبي حيان التوحيدي في أنموذج الوزير السلبيّ. يقول التوحيدي: "فأما ابن العميد أبو الفضل، فإنه كان باباً آخر، وطامّة أخرى، وكان فضلُه من جنسٍ ليس لابن عبّادٍ فيه نصيب، ونقصُه من ضَرِبٍ لم يكن له فيه ضَرِب، كان يُظهرُ حِلماً تحتَه سفه، ويدّعي علماً هو به جاهل (...). وكان يدّعي المنطق وهو لا يفهم بشيء منه، ولم يقرأ حرفاً على أحد، ويتشبع بالهندسة وهو منها بعيد، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الأصل وهو الحساب، وكان أجهل الناس بالدخل والخرج، ولقد بقي ما بقي في أيامه فما قعد يوماً في الديوان ناظراً في عمل، أو فاصلاً لحكم، أو مُخلّصاً لمشكل، وكان قد وُضع في نفس صاحبه بالحيل الدّقيقة، والأسباب الخافية أنه واحد الدنيا، وأنَّ ملوك الأرض يحسدونه عليه، وأنَّه لسانُ الزّمان، وخطيبُ الدّهر؟"³¹.

إنَّ هذه الصورة السلبية التي يرسمها التوحيدي عن ابن العميد تخالف إجماع عدد كبير من المصادر التاريخية والأدبية الوسيطة في بيان فصاحته؛ إذ يروي ابن خلكان في (وفيات الأعيان) أنَّ أبا الفضل بن العميد بلغ درجة عالية في الأدب، حتى إنه كان يُسمى بالجاحظ الثاني، وهو الذي قيل فيه، بُدِئت الكتابة بعبد الحميد، وخُتِمت بابن العميد. كما تروي المصادر التاريخية أنه كان قائداً ماهراً، فقد أثّر عنه أنه انتصر على "ابن مآكان" في الرّي وأصبهان، وأسرّه في سنة 344هـ ومات وهو طريقه لحرب حسنويه زعيم الأكراد سنة 360هـ، كما كانت له اليد الطولى في تقوية أسس الدولة البويهية وركائزها³². إنَّ هذا الاختلاف والمغايرة في صورة الوزير ابن العميد في سردية أبي حيان عنه تؤشّر إلى حجم التخيّل التاريخي والاختلاقات السردية

التي أحدثها أبوحيان وهو يشتغل على (تبئير ثقافي)، ويمارس الحذف والإلغاء والطمس والتحوير والدمج في عمل الذاكرة السردية الانتقائية الخاصة بهذا الوزير.

المبحث الثالث: بنيات التخيل السردية وآليات التوجيه الإدراكي في كتاب (أخلاق الوزيرين).

يُعد كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي خطاباً أدبياً ثقافياً على درجة عالية من الثراء المعرفي يتقاطع فيه التخيل السردية مع الخطاب النقدي والأخلاقي، وتبرز فيه آليات التوجيه الإدراكي والتقاطع المعرفي والحجاج الفلسفي والمجازات السياسية بوصفها أدوات وعي ثقافي ورؤية العالم عند منشي هذا الخطاب؛ لتوجيه قراءة المتلقي واستدراجه نفسياً وتوجيهه دلاليًا، وتفكيك تمثيلات السلطة السياسية الثقافية في العصر البويهي³³. ويعتمد التوحيدي أنساق المخاطلة الثقافية، وتوظيف المشاهد التمثيلية، والتمثيلات الذهنية، وإستراتيجيات المتكلم الساخر لتحويل شخصيتي الوزيرين الكاتبين إلى شخصيات ذات أبعاد رمزية بعيداً عن مرجعيتها التاريخية التوثيقية. وهذا يعني أنّ "نص (مثالب الوزيرين) نص أدبي من النوع الهجائي أحال فيه أبوحيان التوحيدي الوزيرين إلى "موضوعين" أو رمزين، قاطعاً بالتالي الصلة بينهما وبين وجودهما التاريخي الواقعي. أمّا ما ذكره، في تضاعيف هذا الكتب، عن مكانة الوزيرين الرفيعة، فهو من باب الإشارة والتقرير. ولا يستبعد أنه اضطر إلى هذه العبارات التقريرية من باب تنبيه المتلقي إلى أن هجاءه للوزيرين نص أدبي، لا ينبغي النظر فيه من أجل البحث في مدى مطابقته للواقع أو مخالفته له".³⁴

3.1 آليات التلقي السردية وتحريك الذاكرة الثقافية للمتلقى الوسيط:

يرى المفكر ما بعد الكولونيالي هومي بابا (Homi K.Bhabha) أنّ هُويات الأمم والشعوب ليست مجرد كيانات جغرافية أو سياسية ثابتة، بل هي "سرديات" تُبنى وتتجدد عبر الخطاب والثقافة والقصص؛ فقد جعل هومي بابا الأمم مثل السرد الذي يفقد أصوله وجذوره في خضم الزمن وأساطيره ولا تستعيد أفقها إلا في الخيال³⁵. ويتمّ تحريك التواريخ بواسطة (الهوية السردية) (Narrative Identity) التي هي كما يعرفها بول ريكور (Paul Ricoeur) قائمة على التشكّل بواسطة تأويل ومتوسطات قرائية يتشابك فيها الماضي بالتاريخ "فهم الذات هو عملية تأويل، وتأويل الذات بدوره يجد في السرد واسطة بامتياز مفضلاً إياه على بقية الإشارات والعلامات والرموز. والسرد يقتبس من التاريخ بقدر ما يقتبس من القصص الخيالية، جاعلاً من تاريخ حياة قصة خيالية، أو إذا شئنا قصة تاريخية، شابكاً أسلوب العمل التاريخي الحقيقي للسير بالأسلوب الروائي للسير الذاتية الخيالية"³⁶. تختلق الشعوب مروياتها السردية الكبرى عبر الاستملاك الرمزي الجمعي للتاريخ من أجل الدفاع عن هويتها وتلفيق "تاريخ خاص بها" بواسطة متخيلها السردية الجمعي. إنّ هذه المرويات السردية المختلفة هي سرديات صادرة عن ذاكرة السرد الانتقائي من خلال النسيان والذاكرة المتلاعب بها بسبب الوظيفة التوسطية للسرد التي تنفي إمكانية فكرة السرد الجامع الشامل. "فكلّ سرد يحوي بالضرورة بعداً انتقائياً. إننا نلامس هنا العلاقة الوثيقة بين الذاكرة الإخبارية والسردية والشهادة والتمثّل المجازي للماضي التاريخي. فإنّ أدلجة الذاكرة ممكنة بفضل التنوّع الذي يعطيه عمل التصوير السردية"³⁷. ومن ناحية أخرى، تسعى "القراءة التناسلية الثقافية الإدراكية" إلى بناء سياقات واسعة للدراسة الأدبية، والتركيز على الأبعاد التاريخية والثقافية للنصوص والقضايا مثل: العنصرية، الجندر، الإثنية، الطبقة، في علاقتها بالمنتج الثقافي. بما في ذلك أنظمة القوة، وتوظيف إستراتيجيات النقد الأيديولوجي للكشف عن الأرضيات التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية في الأدب".³⁸ وتشتغل العوالم الإدراكية

الممكنة في خطاب التوحيدي بوصفها "كيانات سردية لا تكتمل إلا بمقدار ما تسمح به القرائن النصية التي يقبلها العقل"³⁹.

يمثل كتاب (أخلاق الوزيرين) للتوحيدي مجالاً استثنائياً ممتازاً لآليات التلقي السردية وتحريك الذاكرة الثقافية للمتلقى الوسيط عبر الاستدلال السردية المعرفي الذي ذابت فيه الحدود الأجناسية الأدبية بين السيرة الذاتية، والترجمة الغريبة، والحكايات السردية، والنوادر، والأخبار، والأشعار. كما يمثل هذا الكتاب مجالاً ممتازاً كذلك للاشتغال على بنى التقابل والتماثل بين الوزيرين الكاتبين (الصاحب ابن عباد وابن العميد)، وتفعيل دور الذاكرة الجمعية باستدعاء الروايات المتداولة لدى النخبة الثقافية التي تمثل رصيذاً تداولياً مشتركاً أو "سرديات صغرى" تدعم دور السردية الكبرى التي ينتجها التوحيدي عن الوزيرين، وتحول الكتاب إلى سردية حجاجية ومحاكمة أخلاقية لتوثيق المثالب الأخلاقية والإدارية. يخلق التوحيدي "تعددية أصوات" في نصه بدمج تلك الروايات الصادرة عن "نخبة ثقافية" عاصرت الوزيرين الكاتبين. ومنها هذا النص الذي يستشهد به على كلام الصاحب ابن عباد، وفصاحة لسانه، وقوة جأشه مع ركافة عقله وانحلال عقده إذ يقول التوحيدي عن الصاحب: "لما رجع من همدان سنة تسع وستين وثلاثمائة بعد أن فارق حضرة عضد الدولة استقبله الناس من الرّي وما يلها، واجتمعوا بساوة ودونها وفوقها، وكان قد أعدّ لكل واحد منهم كلاماً يلقيه به عند رؤيته وأين كانوا يقعون منه، وأين كانوا يبينون عنده؛ وهذا الذي ذهب به في الإعجاب والكبر، وبعثه على احتقار الناس، وتركه في التيه المضل"⁴⁰. ويعتمد التوحيدي تقنية التبئير المتعدد لتحقيق حيادية السرد وعدم انحيازه؛ إذ تشكل سرديات التوحيدي مع سرديات أخرى لبعض النخب الثقافية التي عاصرت الوزيرين سرديات المطابقة والتماثل. يقول التوحيدي: "وقلت للمسيبي: ما قولك في ابن عباد؟ فقال: له في الخلاعة قرآن مُعْجَز، وفي الرّقاعة آية مُنْزَلَة، وفي الحسد عرق ضارب، وفي الكذب عارٌّ لازِب؛ لا ينزع عن المساوي إلا مَلَلًا، ولا يأتي الخير إلا كَسَلًا؛ ظاهره ضلالة، وباطنه جهالة، وليس له في الكرم دلالة، ولا في الإحسان إلى الأحرار آلة؛ فسبحان من خلقه غيظاً لأهل الفضل والأدب، وأعطاه فيضاً من المال والنشب!"⁴¹.

ولا يكتفي التوحيدي بسردية المسيبي وإنما يعضدها بسردية الشاعر أبي بكر الخوارزمي عن الوزير ابن عباد: "وقلت لأبي بكر الخوارزمي الشاعر، وكان قد خبره: كيف وجدت الصاحب، وقد أعطاك وأولاك وقدّمك وأثرك، وسفر لك إلى عضد الدولة، وهو اليوم شاه الملوک، حتى ملأت عيابك تبراً، وحقائبك ثياباً، ورواحلك زاداً؟ فقال: دَعْنِي مِمَّا هُنَالِكَ، واللّٰهُ إِنَّهُ لَخَوَازِجِي المكارم، صَبَّارٌ عَلَى الملائم، زَحَّافٌ إِلَى المآثم، سَمَّاعٌ للنمائم، مقدامٌ على العظائم..."⁴² وتأتي سردية الزعفراني لتعضد السرديات السابقة جميعها في فضح سردية ابن عباد. ولقد قلت للزعفراني: أرى الخوارزمي سيء الرأي في ابن عباد مع ما يصل إليه منه، فما السبب؟ فقال: ابن عباد سيئ السياسة/لصنائه، وذلك أنه يُعْطِي الإنسان عطيةً ما، ثم يبلّوه بجفاءٍ يتمنى معه لِقْطَ النوى من السِّكِّك، والمصْطَنعُ الكريمُ هو الذي يكون اصطناعه بلسانه فوق اصطناعه بيده؛ وإني أحدثك ببعض ما عامل به الخوارزمي ليصحّ لك القياس عليه، والتعجب منه"⁴³. ويختم التوحيدي هذه السرديات التعضيديّة بسردية مبالغة تضخيمية على لسان ابن عباد عبر رواية التوحيدي "لم يكن في الدولتين الأموية والعبّاسية مثلي"، ويعلق عليها التوحيدي: "قال" وأي عقل يكون لمن يقول: لم يكن في الدولتين الأموية والعبّاسية مثلي، وهذا الكلام قد دَوَّنَه في بعض كتبه؛ وقد حكيْتُ هذا بمدينة السلام

فسمعه قوم كرام يرجعون إلى فضل كثير وبصائر حسنة منهم ابن البقال الشاعر، ومحسن ابن التنوخي، وابن فتّاش المصري فضحكوا وهزئوا، وشعثوا عرضه، وجحدوا محاسنه التي لو سكت عليها لسلمت له، ولا دعى في جملتها أكثر مما يدعيه لنفسه؛ ولعمري ما كان له فيمن تقدّم في الدولتين مثل ولا شبيهه، ولكن في الخلاعة والمجون، والرّقاعة والجنون"⁴⁴.

يلجأ أبو حيّان التوحيدي إلى حجاجية السلطة الثقافية لمنح خطابه السردى المزيد من الهيمنة والقوة؛ فلكى يبرر التوحيدي سبب إنشائه كتاباً كاملاً في مثالب وزيرين كاتبين يستشهد بالجاحظ الذي هذا عمرو بن بحر أبو عثمان، وهو واحد الدنيا، كتب رسالة طويلة في ذمّ أخلاق محمد بن الجهم، ومدح أخلاق ابن أبي دُواد، وبالغ في الوصفين، وخطب على الرّحلين، ولم يترك قبحية إلا أعلقها محمداً، ولا حسنة إلا منحها أحمد، وحتى جعل ابن الجهم مع إبليس في نصاب واحد، وابن أبي دُواد مع ملك في نقاب واحد؛ وهكذا "عمل من طبّ لمن حب" إذا غضب فسبّ، أو رضي فمدح وأطنب".⁴⁵ كما يورد رسالة ابن المقفع في معاييب بعض آل سليمان بن علي الهاشمي، ورسالة سهل بن هارون في مثالب الحرّاني، ورسالة سعيد بن حميد في فضائح آل علي بن هشام؛ وحتى الصولي بالأمس ذمّ بعض بني المنجم في رسالة له".⁴⁶

3.2 التلقي السردى وإستراتيجيات التلاعب الإدراكي:

يعد مفهوم (التلاعب الإدراكي) عند توين فان دايك Teun Van Dijk أحد أهم المفاهيم المهمة في تحليل الخطاب النقدي، والمقصود بالتلاعب هنا هو الممارسة التواصلية والتفاعلية التي تمكن المتلاعب من السيطرة على الآخرين، وعادة ما تكون هذه السيطرة رغماً عن إرادتهم أو ضد مصالحهم و ينطوي التلاعب على ممارسة نمط من أنماط النفوذ غير الشرعي عن طريق الخطاب، فالتلاعب يجعل الآخرين يعتقدون أشياء تصب في مصلحة المتلاعب أو يفعلونها، وتكون ضد المصالح المفضلة للمتلاعب بهم⁴⁷.

يوظّف أبوحيّان التوحيدي في كتاب (أخلاق الوزيرين) إستراتيجيات تلاعب إدراكية معتمدة على استدراج المتلقي العربيّ الوسيط لكسر أفق انتظاره وتفكيك الصورة المثالية للوزراء في العصر البويهي. كما يشتغل التوحيدي كذلك على التأثير الإدراكي العاطفي عبر إستراتيجيات التوريط الدلالي، وبلاغة السخرية والمفارقة، وتناقض الأقوال والأفعال واستثارة العواطف (الباتوس) لتوجيه قراءة المتلقي والتأثير على قناعاته تجاه الوزيرين الكاتبين صاحب ابن عبّاد وابن العميد. وسوف نعتمد (إستراتيجية المربع الأيديولوجي) لتوين فان دايك لفحص آليات التلقي السردى وإستراتيجيات التلاعب الإدراكي في كتاب (أخلاق الوزيرين)، ويُعرف فان دايك هذه الإستراتيجية بأنها " تقديم النفس إيجاباً وتقديم الآخرين سلباً، وهي إستراتيجية أنموذجية مهمة في عرض الحقائق المنحازة لمصالح المتحدّث أو الكاتب نفسه من جهة، وإلقاء اللائمة على الخصوم أو الآخرين من جهة أخرى"⁴⁸. ويمكننا تطبيق هذه الإستراتيجية على بنية الخطاب الإدراكي في كتاب (أخلاق الوزيرين) كالآتي:

• إستراتيجيات التفاعل الشامل (العام) (overall) تقديم النفس إيجاباً وتقديم الآخرين سلباً:

يخاطب أبوحيّان التوحيدي في خطبة كتابه الوزير البويهي ابن سعدان، وهو الذي كلف التوحيدي إنشاء هذا الكتاب الإشكالي الصعب . يقول التوحيدي: " وهذه الجملة_أكرمك الله_ أنت أحوجتني إليها، وجشمتني صعبها حتى نشبت بها قائماً وقاعداً، وتقلّبت في حافاتها مختاراً ومضطراً، وتصرّفت في فنونها مُحسناً ومسيئاً"⁴⁹. ويؤكد التوحيدي حياديته وعدم تحيزات خطابه في أكثر من موضوع في الكتاب: "ولستُ

أدعي على ابن عبّاد ما لا شاهد لي فيه، ولا ناصر لي عليه، ولا أذكر ابن العميد بما لا بينة لي معه، ولا برهان لدعواي عنده، وكما أتوَّخى الحقُّ عن غيرهما إن اعترض حديثه في فضل أو نقص، كذلك أعاملهما به فيما عُرفا بين أهل العصر باستعماله، وشهراً فيهم بالتحلي به، لأنَّ غايتي أن أقول ما أحطتُ به خيراً، وحفظته سماعاً⁵⁰.

• الفعل الكلامي الكلي (macro speech act): المتضمن أفعالنا "الحسنة" وأفعالهم "السيئة"، كالاتهام والدفاع:

يحرص أبوحيان التوحيدي على استدراج متلقيه عبر التفاعل التواصلي والتشارك الإدراكي، و" التشارك في "مثالب الوزيرين" فإنه تشارك بالرأي بشكل ظاهر، فالتوحيدي يشرك ممثلي الخطاب في الرأي حول الوزيرين، ليتحد الرأي على ذمهم، والشاهد على ذلك: "وقد سألتُ جماعةً من سادة الناس عنه، وحصلت عند واحد منهم جواباً، يمر بك فيما تستقبل، وأذكرها هنا أشياء حدَّثني بها بطانته وخدمه.."⁵¹. إنَّ التوحيدي كان حريصاً على ادعاء الحياد والنزاهة الأخلاقية والموضوعية المطلقة وهو يسرد مثالب الوزيرين الكاتبين، وكان حريصاً كذلك على تشكيل خطابه الحجاجي القضائي بالحجج والأمثلة والشواهد والتبئير المتعدّد في الحين الذي تغيب فيه حجج الطرف الآخر (المدعى عليه= الوزيران) لكون التوحيدي قد ألف كتابه بعد وفاتهما بسنوات عدة. إنَّ خطاب أبي حيان التوحيدي يجمع ، كما أسلفنا، بين سرد الذات عبر وسيط، ويجمع كذلك القصص السردية، والأخبار، وال نوادر، والأمثال، والأشعار وغيرها إلى جانب السرد التاريخي الذي تمارس فيه ذاكرة الراوي وظيفة "التوسط السردى الإدراكي الانتقائي"، وتسرد فيه أخباراً عن الخصومة التاريخية بين الوزيرين ابن عبّاد وابن العميد⁵². ويعتمد التوحيدي إستراتيجية المخاتلة الكلامية في الجمع بين محاسن الوزيرين ومعاييها في آن واحد، ومن هنا جاء حديثه عن الكرم واللؤم في أخلاقهما، والنقص والزيادة، والورع والانسلاخ، والرّزّانة والسُّخف، والكيس والبله، والشجاعة والجبن، والوفاء والغدر، والسياسة والإهمال، والاستعفاف ونّطف، والدهاء والغفلة، والبيان والعِي، والرّشاد والغِي، والخطأ والصواب، والحلم والسفه، والخلاعة والتماسك، والحياء والقحة، والرحمة والقسوة⁵³.

• البنى الدلالية الشاملة (الكبرى) (macrostructures)، كاختيار الموضوع:

يشكل كتاب (أخلاق الوزيرين) خطاباً استثنائياً في مجال سرديات المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط من خلال التقابلات الحادة التي يجريها أبو حيان التوحيدي بين صورة الوزير المثالية التي ينبغي أن تكون، والأنموذج السلبي للوزير (الصاحب ابن عبّاد وابن العميد)؛ الأمر الذي يفكّك ثنائية السلطة والأخلاق في عصر تشظي الإمبراطورية العربيّة الإسلاميّة ممثّلة بالدولة العبّاسيّة في عصورها المتأخرة (العصر البويهى)، وما شهدته من انعدام اليقين والثبات السياسي. إنَّ خطاب أبي حيان التوحيدي في مؤلفاته جميعها يعكس هذا الشعور الحاد بالقلق السياسي والشعور النفسي الداخلي بالهامشية على الرغم من تقربه من كبار الوزراء في عصره. وعلى نقيض كتب الآداب السلطانية والكتب التي أرّخت تواريخ الوزارة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، وكانت تصدر عن بنية الثبات المطلق⁵⁴.

إنَّ حادثة شخصية هي التي كانت الدافع والمحفّز الذي دفع التوحيدي إلى إنشاء هذا الكتاب؛ فقد فارق التوحيدي أهله وإخوانه وأعزته ببغداد، وقصد الصاحب ابن عبّاد بالريّ، آملاً أن ينال إعطيائه فخيّب الصاحب أمّله، وأساء معاملته. يقول التوحيدي "ابتليتُ به وابتلي بي، رمانى عن قوسه مُغرِقاً فأفرغتُ ما

كان عندي على رأسه مغيظاً، وحرمني فازدريتهن وحقرني فأخزيتته، وخصني بالخيبة التي نالت مني فخصصته بالغيبة التي أحرقتة، والبادي أظلمن والمنتصف أعذر(....) ولئن لم يرني أهلاً لنائله وبره، إني لا أراه أهلاً لقول الحق فيه، ونث ما كان يشتمل عليه من مخازيه"⁵⁵. إن هذه الخصومة الشخصية أثرت تأثيراً عميقاً في أبي حيّان التوحيدي الذي قال عن صاحب بعد وفاته: "ولئن كان منعني ماله الذي لم يبق له، فما حظر عليّ عرضه الذي بقي بعده"⁵⁶. أمّا أبو الفضل ابن العميد، فإنّ أبا حيّان حسبما حكى عن نفسه لم يحضر مجلسه إلا مرتين؛ فشهد في إحداها أعوان أبي الفضل يُخرجون من مجلسه بمشهد منه رجالاً غريباً صائماً، في عشيّة من عشايا رمضان وقت الإفطار. وشاهد في ثانيتهما محنة شاعر من الكرخ مدح ابن العميد أبا الفضل فلم يُجزه بشيء رغم إلحاحه ومطالبته له أمام الحضور.⁵⁷

• المعجم و المجاز المرسل والاستعارات الأخرى لتأكيد مميزاتنا الإيجابية وصفاتهم السلبية:

يشتغل كتاب (أخلاق الوزيرين) في بنيته الكبرى على مجاز ثقافيّ كلي قائم على "سرديات مضادة" للأنموذج المثالي للوزير الكاتب؛ ففي مقابل الصورة المثالية التي مثلها بعض وزراء الدول العربيّة الإسلاميّة المتعاقبة في منظومتهم الأخلاقية والمهنية، ومنهم حسبما يرى التوحيدي، أسرة البرامكة تشكل تمثيلات الوزيرين البويهيين (ابن عبّاد وابن العميد) أنموذجاً نقيضاً لهذه السرديات المثالية. ويتشكل الكتاب كله من مجازات ثقافية قائمة على بنيتي المطابقة والتماثل في أخلاق الوزيرين المناقضة لمنظومة أخلاق المروءة العربيّة، والأخلاقيات السياسيّة العربيّة. ويستحضر أبوحيّان التوحيدي أسرة البرامكة ووزراء الدولة العبّاسية في سياق مقارنة مع وزراء الدولة البويهية الذين يعاصرهم "أين أولئك البرامكة؟ وأين (نحن) منهم اليوم؟ كان معروفهم يسع الصّغير والكبير، ويغمم الغنيّ والفقير، مرّة يغرف ومرّة ينزف، ما لهم همّ إلا تثميره".⁵⁸ وتشكل هذه المجازيات الثقافية المقارنة اشتغالاً منهجياً تأسيسياً لدى التوحيدي الذي يقول في خاتمة كتابه "ولولا أنّ هذين الرجلين أعني ابن عبّاد وابن العميد كانا كبيرين زمانهما، وإلّهما انتهت أمور(....) وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدّنيا، وكانا بحيث يُنشر الحُسن منهما نشرًا، ويؤثر القبيح عنهما أثرًا، لكنّ لا أتسكّع في حديثهما هذا التسكّع، ولا أنجي عليهما بهذا الحد"⁵⁹.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

تناولنا في هذه المقاربة النقدية السردية خطاب المثالب في الأدب العربيّ الكلاسيكيّ الوسيط من منظور السرديات الإدراكية في كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيّان التوحيدي أنموذجاً. وقد هدفت هذه المقاربة السردية الإدراكية إلى دراسة آليات تشكيل "خطاب المثالب" بوصفها تمثيلات إدراكية عن السلطة السياسيّة الثقافيّة في العصر البويهيّ ممثلة في الوزيرين الكاتبين (أبي الفضل ابن العميد(ت: 360هـ) والصاحب ابن عبّاد(ت: 385هـ)، والكشف عن البنى والعوالم الإدراكية الكامنة خلف السرد الهجائي في الأدب العربيّ الوسيط لتفكيك آليات الخطاب، ورصد تقنياته السردية التي تحوّل "الذم" و"المثالب" من مجرد انفعال شخصي إلى بنية معرفية متكاملة. كما تقصت هذه المقاربة النقدية استثمار السرديات الإدراكية Cognitive Narratives) في قراءة النصوص التراثية السردية لتجاوز القراءات التاريخيّة الإسقاطية. وقد اشتملت مقاربتنا البحثية على ثلاثة مطالب بحثية أولها: الإطار المفاهيمي (خطاب المثالب والسرديات الإدراكية)، والمبحث الثاني البنى الإدراكية لخطاب المثالب في كتاب (أخلاق الوزيرين)، والمبحث الثالث: بنيات تخيل السردية وآليات التوجيه الإدراكي في كتاب (أخلاق الوزيرين).

تكشف هذه المقاربة النقدية البحثية أنَّ خطاب المثالب في الأدب العربي الكلاسيكي الوسيط ليس مجرد نصوص هجائية تقليدية عابرة، بل هو بنية معرفية سردية إدراكية معقدة تبرز تفاعل الخطاب النقدي مع البنى المعرفية لتوجيه وعي المتلقي العربي الوسيط، وتشكيل مواقفه تجاه السلطة السياسية والثقافية في العصر البويهي. إنَّ كتاب (أخلاق الوزيرين) ينتمي إلى أدب المجالس والمقابسات في الثقافة العربية الوسيطة، ويؤشّر بعمق على طبيعة الظرفية السياسية والثقافية والاجتماعية بالغة التعقيد في القرن الرابع الهجري. كما أنَّ هذا الكتاب هو الأنموذج الكتابي (النقيض) لكتاب (الإمتاع والمؤانسة)، وهو الكتاب الذي مارس فيه أبو حيّان التوحيدي دور النديم المثقف المتفاعل مع قضايا عصره.

كما كشفت الدراسة كذلك في نتائجها البحثية أنَّ خطاب المثالب في كتاب (أخلاق الوزيرين) لأبي حيّان أراد تقديم تصوّر إدراكي عقلائي يتسم بالمثالية والمعيارية المطلقة لرسم صورة الأنموذج المثالي للوزير في مقابل الأنموذج السلبي. كما أنَّ الكتاب هو خطاب أدبي ثقافي على درجة عالية من الثراء المعرفي يتقاطع فيه التخيل السردى مع الخطاب النقدي والأخلاقي.

التوصيات:

- تفعيل المناهج المعاصرة الخاصة بالسرديات الإدراكية: ضرورة تطبيق أدوات السرديات الإدراكية على نصوص تراثية أخرى من أدب المثالب والمناظرات لاكتشاف آلياتها الخفية. ودراسة نصوص أخرى في أدب المثالب والمحاسن ونصوص المحاكمات الأدبية بذات المنهج الإدراكي ودراسة المضمّرات الثقافية، وتشجيع الباحثين على استثمار المناهج اللسانية والمعرفية المعاصرة لفهم التراث النقدي العربي الكلاسيكي.
- التقاطع المعرفي: ربط السرديات الإدراكية بالدراسات البيئية متعدّدة الاختصاصات لفهم نفسية الكاتب الكلاسيكي العربي الوسيط، وسياق الإنتاج النصي، ودراسة الأنساق الثقافية للتعلم في دراسة التقاطع بين الذهنية العربية الوسيطة وأنساق السلطة والخطاب في النصوص الأدبية.
- إعادة قراءة التوحيدي: تجنب القراءة التاريخية البحتة لنصوص أبي حيّان التوحيدي، والانفتاح على استنطاق كتاباته بوصفها خطابات أنجزت وفق بنى جمالية ومضمّرات ثقافية.
- دراسة أثر التلقي: إجراء أبحاث مستقبلية تقيس أثر إستراتيجيات خطاب أبي حيّان التوحيدي في توجيه الوعي الجمعي العربي الوسيط

¹ يذكر محمد بن تاووت الطنجي محقق كتاب (أخلاق الوزيرين، مثالب الوزيرين) صاحب ابن عبّاد وابن العميد). أنَّ عنوان الكتاب في الأصل المخطوط هو (أخلاق صاحب وابن العميد)؛ بسبب كون أبي حيّان كان لا يجرؤ على تسميته بمثالب أو ثلب أو ذمّ الوزيرين، وأنه سلك مسلك الحذر والاحتياط خوفاً من العدو المترص، والحسود الذي لا يرحم. وأمّا بعد وفاته فالأمر قد اختلف فقد أورده ياقوت الحموي (ت: 626هـ) باسم (أخلاق الوزيرين)، وباسم "مثالب"، وباسم (ذمّ الوزيرين). يُنظر: أبوحيّان التوحيدي، علي بن محمد العباس البغدادي. أخلاق الوزيرين" مثالب الوزيرين صاحب ابن عبّاد وابن العميد". حقّقه وعلّق حواشيه: محمد بن تاووت الطنجي. ط 1، دار صادر، بيروت، 1412هـ/1992م. (مقدمة التحقيق).

² بين الناقد صالح بن الهادي رمضان في كتابه (التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية)، ص 252 أنَّ النظرية الإدراكية والأجناس السردية لم تنل بعد اهتمام الباحثين نظراً إلى جدة البحث فيها. يُنظر: رمضان، صالح بن الهادي. التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية. ط 1. النادي الأدبي بالرياض، الرياض، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1435هـ/2015م. (النظرية الإدراكية والأجناس السردية، ص ص 252-255).

⁵ لورريان، ماري، "السرديات والعلوم العرفانية: علاقة إشكالية"، ترجمة: زهير القاسبي، مجلة فصول (الإدراكيات)، المجلد (4/25)، العدد 100 (صيف 2017)، ص ص 195، 196.

⁶ يُنظر: مادة (ثلب) في معجم (لسان العرب) لابن منظور.

⁷ عن جمالية القبح في الثقافة العربية الوسيطة يُنظر: سعيد علوش، جمالية القبح، ط1، دار الوطن، الرباط، 2021م.

⁸ يذكر الناقد عبدالفتاح أحمد يوسف في كتابه: النقد الحضاري للخطاب، تحولات السؤال النقدي من المقتضى اللغوي إلى الرهان الحضاري، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، 2017، ص 58 أن "النسق الحضاري والمعرفي قد تغير في المرحلة الأموية، من ثقافة القبيلة إلى ثقافة المدينة، ومن ثقافة الترحال إلى ثقافة الحل والاستقرار، ومن ثقافة الأنا المتضخمة إلى ثقافة الاعتراف بالآخر بوصفه مكماً للأنا (...). ومن ثمة نؤكد أن عمليات السجال في شعر النقائض، تُعد جزءاً لا يتجزأ من ممارسات العقل نحو الارتقاء والتحضر، فعن طريق السجال يمكن للعقل أن يعي ذاته، ويطور أفكاره بتواصله مع الآخر بعلاقة منطقية جدلية".

⁹ يُنظر: الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نيسان/أبريل 2008م، ص ص 54_55: يُنظر كذلك: الموسوي، محسن جاسم، جمهورية الآداب في العصر الإسلامي الوسيط، البنية العربية للمعرفة، ترجمة: حبيبة حسن، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2020 م، (الإنتاج الثقافي كعنصر نسقي)، ص 122 إذ دشّن هؤلاء المثقفون بمقابساتهم الثقافية خريطة تكوّن جمهورية الآداب الإسلامية؛ الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، ط7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2016؛ السيد، رضوان، الجماعة والمجتمع والدولة، سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الإسلامي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1428هـ/2007 م.

¹⁰ البوعمراني، محمد الصالح، "دينامية القوة بين بني الوجود وبني اللغة"، مجلة فصول (الإدراكيات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (4/25)، العدد 100 (صيف 2017)، ص ص 311_313.

¹¹ أخلاق الوزيرين، مقدمة المحقق، هـ

¹² المصدر السابق، ص 13.

¹³ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

¹⁴ المصدر السابق، مقدمة المحقق، هـ

¹⁵ لتعريف (العنف الرمزي) يُنظر: بورديو، بيار، العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة: نظير جاهل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1995م.

¹⁶ لما مات الصاحب ابن عباد عام 385هـ عمل له ما يعمل للملوك، فحضر جنازته الأمير فخر الدولة، وجميع أعيان المملكة، لباسهم، كما رثاه الشريف الرضي بقصيدة عينية شهيرة من بحر الكامل مطلعها:

أكذا المنون تقنطر الأبطالاً أكذا الزمان يضعضج الأجبالاً؟

يُنظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1980، ج3 ص ص 259، 260.

¹⁷ أخلاق الوزيرين، ص 9.

¹⁸ أخلاق الوزيرين، ص 9.

¹⁹ أخلاق الوزيرين، ص 10.

²⁰ يقطين، سعيد، "المجلس، الكلام، الخطاب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (شتاء 1996)، (أبوحيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص 206.

²¹ يستند خطاب أبوحيان التوحيدي في كتابه (أخلاق الوزيرين) على حجاجية السلطة (argument d'autorité) في المرجعيات التاريخية والنصية المعززة لخطابه؛ وهي الحجاجية التي يكتسبها من "سلطة قائله ومكانته وأهميته". وعند (شاييم بيرلمان) (chaim Perelman) فإن هذه الحجة عمادها هيبة المتكلم ونفوذه وسلطته ومترئنه في عيون الناس، وما يحظى به من الثقة والتصديق. وهذا الجنس من المقنعات له قيمة كبرى في إكساب الأفكار قوة وفي تنفيذ الأطروحات. واعتماد حجة السلطة يكون باتخاذ أعمال شخص أو مجموعة من الأشخاص وأحكامهم دليلاً على صحة الأطروحة. وينتهي إلى حجة السلطة (الإجماع) و(الرأي العام) وآراء (الفلاسفة) و(العلماء) وكلام (الأنبياء) بل وحتى معتقدات الشيوخ و"الكهنوت"، فإن تأثير الشخص في طريقة تلقي الآخرين لأفعاله، يُمارس بوساطة الهيبة Le prestige، وهي ميزة هؤلاء الذين يحدثون عند الآخرين نزوعاً طبعياً لتقليدهم، بحيث يحاكي المرء سلوكهم ويتبنى آراءهم. ومن هنا تأتي أهمية حجة السلطة. يُنظر:

Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca; Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, 5 ème édition. Editions de L'université de Bruxelles, 1992

²² أخلاق الوزيرين، مصدر سابق، ص 94_95. عن الحجاج الجدي يُنظر: الهلّول، عبدالله. الحجاج الجدي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي. ط1. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 1437هـ/2016م.

²³ أخلاق الوزيرين، ص 95_96.

²⁴ المصدر السابق، ص 151.

²⁵ المصدر السابق، ص 156.

²⁶ المصدر السابق، ص 3.

²⁷ أحمد فؤاد، هالة. المثقف بين السلطة والعامّة، نموذج القرن الرابع الهجري_أبو حيان التوحيدي. ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2012، ص53.

²⁸ أخلاق الوزيرين، ص 41.

²⁹ أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس البغدادي. كتاب الإمتاع والمؤانسة. ط1. تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942 م، ج 1، ص ص 45، 53.

³⁰ أخلاق الوزيرين، مصدر سابق، ص 106.

³¹ المصدر السابق، ص ص 321، 322.

³² حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص ص 258، 259.

³³ عن العصر البويعي يُنظر: الدوري، عبدالعزيز. دراسات في العصور العباسية المتأخرة. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون الثاني/يناير 2007م، ص ص 173_210 (البويعيون).

³⁴ محمد بربري، محمد، "البعد الإشاري والبعد الرمزي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، شتاء 1996، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص 70؛ وعن الدراسات المتعلقة بكتاب أبي حيان التوحيدي نحيل على بعض الدراسات المنهجية المهمة ومنها: بيبي، عصام، "الكلام على الكلام"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث (خريف 1995)، ص ص 183_202؛ درويش، أحمد، "تمرد الحاكي والمحكي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (شتاء 1996)، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 167_176؛ أبوديب، كمال، "المجسّيات والمقامات والأدب العجائبي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع (شتاء 1996)، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 210_244؛ الروبي، ألف كمال، "محاوالت التوحيدي وتعدّد الأصوات"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، شتاء 1996، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 143_166؛ الشرفي، عبدالمجيد، "حادثة أبي حيان"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع (شتاء 1996)، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 10_21؛ صمود، حمادي، "المشاهدة والكتابة"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع (شتاء 1996)، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 177_187؛ الكبسي، عناد إسماعيل، "ظاهرة السرد بين مثالب الوزيرين والإمتاع والمؤانسة في آثار التوحيدي"، مجلة المورد، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، المجلد 41، العدد 1، 2014، ص ص 111_120؛ لوقا، أنور، أبو حيان والتعامل مع الحداثة، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد الرابع، شتاء 1996، (أبو حيان التوحيدي، الجزء الثاني)، ص ص 22_51؛ مشبال، هشام، "طبيعة الخطاب السرد في الإمتاع والمؤانسة"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان 89_90، ربيع_صيف 2014، ص ص 79_90؛ مفتاح، محمد، "من الفوضى إلى النظام، انتظام البصائر"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، (خريف 1995)، ص ص 224_247؛ الموسوي، محمد جاسم، "سردية التوحيدي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، (خريف 1995)، ص ص 170_182.

³⁵ Bhabha, Homi K. *Nation and Narration*, Routledge, London, 1990. p1

ريكور، بول. الذات عينها كآخر. ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي. ط1. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005. ص 251.

³⁷ المرجع نفسه، ص 648.

العدواني، معجب. القراءة التناسلية الثقافية. ط1. المركز الثقافي للكتاب، بيروت، الدار البيضاء، 2019م، ص 48.

³⁹ بيتر ستوكويل، "عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية"، ص 242.

- ⁴⁰ أخلاق الوزيرين، ص ص 94،95.
- ⁴¹ المصدر السابق، ص 107.
- ⁴² المصدر السابق، ص ص 107_108.
- ⁴³ المصدر السابق، ص 109.
- ⁴⁴ المصدر السابق، ص ص 193، 194.
- ⁴⁵ المصدر السابق، ص 42،43.
- ⁴⁶ المصدر السابق، ص ص 72،73.
- ⁴⁷ فان داك، توين. الخطاب والسلطة. ط1. ترجمة: غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبداللطيف. المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014. (2419)، ص ص 430،431.
- وعن حاجية الخطاب السياسي ومضمراته الثقافية يُنظر: غلوم، إبراهيم عبدالله. الوعي التاريخي والتبني الثقافي، رؤية ثقافية لتاريخ الدولة الحديثة في الخليج العربي. ط1، مركز الشيخ إبراهيم بن محمد للثقافة والبحوث، المحرق، 2024 م؛ ليتش، فنسنت ب. النقد الثقافي، النظرية الأدبية وما بعد البنيوية. ط1. ترجمة: هشام زغلول. المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2022. (العدد 3397؛ مشبال، محمد. بلاغة الخطاب السياسي، أعمال مهداة للدكتور سعيد بنگراد. إعداد وتنسيق: محمد مشبال، كلمة للنشر والتوزيع. ط1. منشورات ضفاف، تونس، بيروت، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1437هـ/2016م؛ مشبال، محمد. خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ (مقاربة بلاغية حاجية). ط1. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 1436هـ/2015م؛ ميلز، سارة. الخطاب، ترجمة: عبدالوهاب علوب، ط1. المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016. (العدد 2581)؛ ستوكويل، بيتر، "عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية"، ترجمة: بهاء الدين محمد مزيد، مجلة فصول (الإدراكيات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (4/25)، العدد 100 (صيف 2017). ص ص 239_251.
- ⁴⁸ تُنظر (إستراتيجية المربع الأيديولوجي) في : الخطاب والسلطة، ص ص 459، 460.
- ⁴⁹ أخلاق الوزيرين، ص 9.
- ⁵⁰ المصدر السابق، ص 79.
- ⁵¹ المحميد، منال بنت صالح. المحاور في أدب أبي حيان التوحيدي، دراسة في خصائص التفاعل التواصل (الأدب المجلسي في مدونات التوحيدي). ط1. دار كنوز المعرفة، عمّان، 1440هـ/2019 م، ص 297.
- ⁵² أخلاق الوزيرين، ص ص 532_547.
- ⁵³ المصدر السابق، ص ص 9_10.
- ⁵⁴ عن الآداب السلطانية يُنظر: عبداللطيف، كمال. في تشريح أصول الاستبداد، قراءة في نظام الآداب السلطانية. ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، نيسان (أبريل) 1999 م؛ العلام، عز الدين. الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، ط1، سلسلة عالم المعرفة، العدد (324)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المحرم 1427هـ فبراير 2006 م.
- ⁵⁵ أخلاق الوزيرين، ص ص 87،86.
- ⁵⁶ المصدر السابق، ص 87.
- ⁵⁷ المصدر السابق، ص 334، ابن خلكان الوفيات ج 2 ص 74،75.
- ⁵⁸ المصدر السابق، ص 489.
- ⁵⁹ المصدر السابق، ص 531.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس البغدادي. (1942). كتاب الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين). لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس البغدادي. (1992). أخلاق الوزيرين: مثالب الوزيرين صاحب ابن عباد وابن العميد (تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنعي). دار صادر.
- أبو ديب، كمال. (1996). المجالس والمقامات والأدب العجائبي: فصول، 14 (4)، 210-244.
- أحمد فؤاد، هالة. (2012). المثقف بين السلطة والعامّة: نموذج القرن الرابع الهجري - أبو حيان التوحيدي. دار المدى للثقافة والنشر.
- إبراهيم، حسن. (1980). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ج. 3). دار الجيل: مكتبة النهضة المصرية.
- الهلول، عبدالله. (2016). الحجاج الجدلي: خصائصه الفنية وتشكلاته الأجنبية في نماذج من التراث اليوناني والعربي. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- البوعمراني، محمد الصالح. (2017). دينامية القوة بين بني الوجود وبني اللغة. فصول، 25 (4)، 305-322.

- بهي، عصام. (1995). الكلام على الكلام. فصول، 14 (3)، 202-183.
- بورديو، بيار. (1995). العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي (نظير جاهل، مترجم). المركز الثقافي العربي.
- الجابري، محمد عابد. (2008). المتكفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل ونكية ابن رشد. مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجابري، محمد عابد. (2016). العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية.
- الدوري، عبدالعزيز. (2007). دراسات في العصور العباسية المتأخرة. مركز دراسات الوحدة العربية.
- درويش، أحمد. (1996). تمرد الحاكي والمحكي. فصول، 14 (4)، 176-167.
- رمضان، صالح بن الهادي. (2015). التواصل الأدبي: من التداولية إلى الإدراكية. النادي الأدبي بالرياض؛ المركز الثقافي العربي.
- الروبي، ألفت كمال. (1996). محاورات التوحيدي وتعدد الأصوات. فصول، 14 (4)، 166-143.
- سعيد علوش، سعيد. (2021). جمالية القبح. دار الوطن.
- السيد، رضوان. (2007). الجماعة والمجتمع والدولة: سلطة الأيديولوجيا في المجال السياسي العربي الإسلامي. دار الكتاب العربي.
- ستوكويل، بيتر. (2017). عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية (بهاء الدين محمد مزيد، مترجم). فصول، 25 (4)، 251-239.
- الشرقي، عبدالمجيد. (1996). حادثة أبي حيان. فصول، 14 (4)، 21-10.
- صمود، حمادي. (1996). المشافهة والكتابة. فصول، 14 (4)، 187-177.
- العدواني، معجب. (2019). القراءة التناسلية الثقافية. المركز الثقافي للكتاب.
- عبد اللطيف، كمال. (1999). في تشريح أصول الاستبداد: قراءة في نظام الآداب السلطانية. دار الطليعة للطباعة والنشر.
- العلام، عز الدين. (2006). الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- غلو، إبراهيم عبدالله. (2024). الوعي التاريخي والتبشير الثقافي: رؤية ثقافية لتاريخ الدولة الحديثة في الخليج العربي. مركز الشيخ إبراهيم بن محمد للثقافة والبحوث.
- فان دايك، توين. (2014). الخطاب والسلطة (غيداء العلي، مترجمة؛ عماد عبداللطيف، مراجعة وتقديم). المركز القومي للترجمة.
- ليتش، فنسنت ب. (2022). النقد الثقافي: النظرية الأدبية وما بعد البنيوية (هشام زغلول، مترجم). المركز القومي للترجمة.
- لورريان، ماري. (2017). السرديات والعلوم العرفانية: علاقة إشكالية (زهير القاسمي، مترجم). فصول، 25 (4)، 208-186.
- لوقا، أنور. (1996). أبو حيان والتعامل مع الحداثة. فصول، 14 (4)، 51-22.
- محمد بري، محمد. (1996). البعد الإشاري والبعد الرمزي. فصول، 14 (4)، 79-69.
- مشبال، محمد. (2015). خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- مشبال، محمد. (2016). بلاغة الخطاب السياسي: أعمال مهدة للدكتور سعيد بنكراد. منشورات ضفاف: دار الأمان؛ منشورات الاختلاف.
- مشبال، هشام. (2014). طبيعة الخطاب السرد في الإمتاع والمؤانسة. فصول، 90-89، 90-79.
- مفتاح، محمد. (1995). من الفوضى إلى النظام: انتظام البصائر. فصول، 14 (3)، 247-224.
- المحيميد، منال بنت صالح. (2019). المحاور في أدب أبي حيان التوحيدي: دراسة في خصائص التفاعل التواصل (الأدب المجلسي في مدونات التوحيدي). دار كنوز المعرفة.
- الموسوي، محمد جاسم. (1995). سردية التوحيدي. فصول، 14 (3)، 182-170.
- الموسوي، محسن جاسم. (2020). جمهورية الآداب في العصر الإسلامي الوسيط: البنية العربية للمعرفة (حبيبة حسن، مترجمة). الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- ميلز، سارة. (2016). الخطاب (عبدالوهاب علوب، مترجم). المركز القومي للترجمة.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (1978). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (إحسان عباس، محقق). دار صادر.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري. (د.ت.). لسان العرب. دار صادر.
- الوادي، أوس عصام هشام. (2019). أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي: قراءة ثقافية لواقع إنتاج هذا النص. حوليات آداب عين شمس، 47 (3).
- يقطين، سعيد. (1996). المجلس، الكلام، الخطاب. فصول، 14 (4)، 209-193.
- يكور، بول. (2005). النذات عينها كآخر (جورج زيناتي، مترجم ومقدم ومعلق). المنظمة العربية للترجمة.
- يوسف، عبدالفتاح أحمد. (2017). النقد الحضاري للخطاب: تحولات السؤال النقدي من المقتضى اللغوي إلى الرهان الحضاري. ابن النديم للنشر والتوزيع: دار الروافد الثقافية ناشرون.
- الكبيسي، عناد إسماعيل. (2014). ظاهرة السرد بين مثالب الوزيرين والإمتاع والمؤانسة في آثار التوحيدي. مجلة المورد، 41 (1)، 120-111.

المراجع الأجنبية :

Bhabha, H. K. (1990). *Nation and narration*. Routledge.
Herman, D. (Ed.). (2003). *Narrative theory and the cognitive sciences*. CSLI Publications.
Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, L. (1992). *Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique* (5e éd.; M. Meyer, Préface). Éditions de l'Université de Bruxelles.